بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: 18

المبحث: سورة الإنسان

الدرس: تفسير القرآن الكريم

كتبه: عبدالله ضيف الستري

التاريخ: 20\12\2022 م

ما زال الكلام في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

خلاصة ما تقدم في معنى الأبرار من الناحية القرآنية والروائية، أن الأبرار جماعة تؤمن بالله، وهذا شرط أساسي لاندرج الإنسان العامل تحت عنوان الأبرار ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ...﴾¹ وسلسلة ما يستدعيه الإيمان بالله تبارك وتعالى.

والأبرار لم يكتفوا بالعمل الجوانحي بالإيمان بالله تبارك وتعالى وسائر ما يستدعيه هذا الإيمان من تصديقات أخرى بالكتب السماوية وبالأنبياء والملائكة، لا بد من تقديم العمل الصالح، وأن تكون هذه الأعمال خالصة لوجهه تبارك وتعالى.

وهؤلاء الأبرار يتمتعون بمجموعة من الأوصاف ذكرتها الروايات، وأشرنا إلى بعضها في البحث السابق.

البحث الآخر في هذه الآية المباركة يرتبط بحقيقة هذا الوعد الإلهي، في هذا الوعد الإلهي عندنا جملة من المحطات ينبغي أن نقف عندها:

المحطة الأولى: قد يأتي إلى الذهن هذا التساؤل، أن المفروض الشارع المقدس والباري تبارك وتعالى يريد أن يبين عاقبة الصنفين المتقدمين، الشاكر الكفور، فبين عاقبة الكفور وما أعد الباري تبارك وتعالى من عقاب للكافر بشكل واضح.

عندما جاءت هذه الآية لبيان عاقبة الشاكر، قلنا أنها اختارت من بين الشاكرين مرتبة عليا وهم الأبرار، لما فيه من التشويق والحث على تسامي الإنسان، لكن عندما ذكرت الجزاء والنتيجة قالت بأن هؤلاء

﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ مجرد ذلك لا يكون مدعاة للحث والتشويق، ترك تمام نعيم وتمام ما أعده الله تبارك وتعالى للمتقين وللأبرار، وتم التركيز على أنهم ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ فهذا مدعاة للتساؤل.

بخلاف الأمر في سورة الواقعة، ففي سورة الواقعة ذكرت الأبرار، لكن بينت لهم ما شاء الله من النعيم، قوله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15) مُتَكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (16) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (17) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ (19) وَفَاكِهَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21) وَحُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾² فهذه الآيات فيها تشويق، وصورة متكاملة.

أما محل بحثنا بعد أن بين ما أعده للكافرين جاء أن هؤلاء الأبرار -المفروض اختار هذه المرتبة لتشويقهم- ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ فجزاء البار في مقابل جزاء الكافر الذي أعد له السلاسل والأغلال والسعير، فيقدم لك كأس مخلوط بالكافور، فهذا لا يكون مدعاة للتشويق، فهذا التساؤل لا بد من الإجابة عنه، ولم أجد من تعرض لذلك من المفسرين.

للجواب عن ذلك لا بد أن نلتفت إلى هذا الترتيب بين الآيات، عاقبة الأبرار والشاكرين جاءت مباشرة بعد عاقبة الكافرين، الذي كانت على طريقة اللف والنشر المشوش، عندما يرى الإنسان هذا المشهد الذي أعده الله سبحانه وتعالى للكافرين أن في عرصات يوم القيامة هناك قافلة تجر السلاسل في أرجلها والأغلال في أعناقها متوجهة إلى وهج السعير، هذه الحالة تقترن في ذهن الإنسان مع ما يستتبعه هذا العذاب، قافلة تمشي في حرارة شديدة مقبلة على النار، فهذا نوع التناسب في القرآن الكريم، يحتاج إلى شيء يبرد هذا الشعور، فجاء ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ وسوف يأتي أن من خصائص الكافور التبريد للماء.

فهذه المشهدية المتسلسلة اقتضت أن يبدأ الباري تبارك وتعالى في مقام ذكر عاقبة الأبرار بما جاء إلى الذهن من عاقبة الفجار، ثم بعد أن حصل هذه الراحة النفسية جاءت بعد ذلك الآيات بعد ذكر أوصاف

الأبرار أنهم يوفون بالندر وما هي عملهم، تابعت الآية وتابعت الصورة -تقريباً- إلى أكثر من نصفها في ذكر النعيم الذي أعده للأبرار.

فإذاً الابتداء بمسألة الشراب الممزوج بالكافور كان لأجل ما اقتضته الصورة التي حضرت في الذهن من عاقبة الكافرين، هذا الابتداء في غاية التناسب.

المحطة الثانية: ترتبط بهذا الشراب، الشراب الممزوج بالكافور.

في هذه الدنيا لو شخص مزج لك الشراب بالكافور لا تشربه، حتى لو كنت من الذين يشربون الخمر، فما هذا المشهد؟ لماذا جاء به؟ وعلى ماذا يدل؟ فمزج الكافور بالشراب لا يجعله لذيذاً، ونحن في مقام التشويق، وفي مقام ذكر الوعد بالثواب، فمزج الكافور بالشراب لا يعطينا الهدف من ذكر هذه الآية المباركة.

هذه المحطة تعرض لها جملة من علماء التفسير، وذكروا أجوبة متعددة:

الجواب الأول: أن الذهن ذهب إلى شيء غير مقصود، الكافور هو اسم نهر في الجنة، اسمه كافور، فهو تشابه لفظي، وليس هذا الكافور الذي نمزجه لكي نغسل به الأموات. فإذاً ليس المقصود من الكافور هذا المعنى، فحينئذٍ تنحل المشكلة.

الجواب الثاني: أن الكافور يقصد برائحته، فالكافور من أنواع العطور، دعك من مسألة استعماله في تغسيل الأموات الكافور. والرائحة حسب اصطلاح أهل المعقول عرض لا بد له من جسم وجوهر، فإذا حل في الجسم صار الجسم يسمى كافوراً؛ لأنه لا استقلالية له بذاته.

لكن هذا الجواب لا يرفع لنا الإشكال ولا يرفع لنا التساؤل، كان التساؤل والإشكال في أن مزج الشراب بالكافور لا يجعله لذيذاً، فإذا لم يجعله لذيذاً سميت الرائحة هي الكافور أو تمام الكأس سميته كافور فلا يؤثر في ذلك.

الجواب الثالث: صحيح أن مزج الشراب بالكافور لا يجعله لذيذاً، لكن هذا في عالم الدنيا، أما في عالم الآخرة فالحساب شيء آخر، كما أن الحال كذلك في الخمر، خمر الدنيا له خصائص غير

موجودة في خمر الجنة ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾³ يعني هذه الحالة التي يتركها الخمر بعد السكر من حالة ثقل الرأس وما شابه ذلك ليست موجودة في خمر الجنة، وكذلك الحال في مسألة مزج الشراب بالكافور، فتتحل المشكلة.

لكن هذا يتوقف على أنه فعلاً الكافور تسلب منه هذه الخصائص الدنيوية حتى يصبح خلط الشراب به لذيداً، فهذا لا دليل عليه، وبالنسبة للخمر فيوجد دليل عليه.

في مسألة التشويق بشيء إذا استعملت ألفاظاً معروفة لدى العرف وثابتة في ذهنهم، إذا أردت معنى آخر فلا بد أن تنبه، ففي خمر الجنة نبه ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أما في الكافور ما يتبادر إلى الذهن ليس شيئاً لذيداً فكان لا بد أن ينبه، فهذا الجواب السابق لا ينفع في المقام.

يمكن الجواب عنه: أولاً: الجواب الأول مع قطع النظر الآن توجد روايات تدل على هناك عين في الجنة تسمى كافورا أم لا فهذا بحث آخر موكل إلى بحث الروايات. لكن في سياق البحث في هذه الآيات المباركة بعد أن قال ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ مباشرة قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ فذكر لنا ماهية هذا الكافور، هو عين لها صفات وخصائص. فإذا بتكملة الآية باعتقادي يرتفع هذا التساؤل، ولا نحتاج إلى نتوسل بمعاني أخرى واحتمالات ربما لا يوجد ما يدل عليها.

المحطة الثالثة: موقعية ﴿كان﴾ يستطيع أن يقول مزاجها كافورا، ولكنه جعل بينهما كان، كان في مثل هذه المواقع ما هو دورها وأثرها في النفس؟ يأتي عليه الكلام.